

أثر التناسب الموضوعي في بيان إعجاز القرآن «من خلال كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (من سورة النبأ إلى سورة الطارق أنموذجاً)

أستاذ مساعد بكلية جبرة العلمية

د. الشيخ أحمد مالك الطيب

المستخلص:

سعت الدراسة إلى بيان أثر التناسب في الإعجاز القرآني، وإظهار دور التناسب في الإعجاز من خلال انسجام النص وتمامه واتساقه، واتبع الباحث المنهج الوصفي، وتم تقسيم الدراسة إلى مبحثين: المبحث الأول: التعريف بالتناسب وأهميته وأنواعه، والمبحث الثاني: دور التناسب في بيان الإعجاز من خلال السور المختارة، وبعد الدراسة توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج، ويمكن حصرها فيما يلي: أجمع العلماء على أن التناسب من أجل وجوه الإعجاز القرآني، وعده الزركشي الوجه الرابع من وجوه إعجاز القرآن، وهو ومن أهم عناصر الجمال البلاغي. ومن خلال دراسة التناسب بين هذه السور يتضح لنا أن التناسب يسهم بشكل كبير في تماسك النص القرآني، لأنه يلعب دوراً كبيراً في انسجام النص وتربطه، لذا هو أنسب وسيلة لتحليل سور القرآن وآياته. وتتجلى أهمية التناسب بين السور القرآنية في كونه يمثل وجه من وجوه إعجاز القرآن. والمتأمل في تركيب آيات القرآن، ونظم كلماته، وأسلوبه في التوفيق بين القضايا، والأغراض المتنوعة، مع حسن ربط، وبراعة مسلك، كأنه سبيكة واحدة، أو عقد نظيم، يترجح لديه الرأي القائل بأن ترتيب المصحف هذا توقيفي.

الكلمات المفتاحية: قرآن، تناسب، مذهب.

**The effect of objective proportionality in the statement of the
inimitability of the Qur'an
“through the book Nizam al-Durar in the proportionality of verses
and surahs”**

(from Surat Al-Naba to Surat Al-Tariq as a model)

**Dr.Elshiekh ahmed Malik Eltayeb “Assistant Professor at Jabra
Scientific College”**

Abstract:

The study sought to demonstrate the effect of proportionality on the Qur'anic disobedience, to demonstrate the role of proportionality in the adjectives through the consistency, coherence and consistency of the text, to follow the descriptive approach and to divide the study into two researchers: First, definition of proportionality, importance and types, and second: The role of proportionality in the statement of impulses through the selected fence. After the study, the researcher came up with a set of findings, which can be summarized as follows: Scholars have agreed that proportionality for the faces of Quranic adulthood, his Zarkshi promise, is the fourth face of the Quran adulthood, and is one of the most important elements of rhetorical beauty. By examining the proportionality between these fences, it is clear to us that proportionality contributes significantly to the coherence of the Quranic text, because it plays a significant role in the harmony and interdependence of the text, so it is the most appropriate and reliable way to resolve the wall of the Quran. The importance of proportionality between the Quranic walls is reflected in the fact that it represents one of the most difficult aspects of the Koran. The reflection on the composition of the Quran's verses, the organization of its words, its method of reconciling issues and its diverse purposes, with a good connection, the ingenuity of a tract, as if it were a single alloy, or a regular contract, tends to have the view that this arrangement of the matrilineal is my stop.

Keywords: Quran, Fit, Doctrine.

مقدمة:

إن المتأمل في النص القرآني يجد فيه من النظم ما يدعو إلى الدهشة والإعجاب، فالقرآن الكريم معجز بنظمه ومعناه، فيتجلي هذا النظم عند الربط بين أجزائه، فيظهر جمال التناسب بين السور القرآنية والآيات في وحدة السور وآياتها مما يجعل النص القرآني أكثر تماسكاً وانسجاماً.

ولذا يعد التناسب من أجل العلوم لما فيه من دلالة على إعجاز بيان القرآن وارتباط آياته وسوره بعضها بعضاً، فيعدُّ من أوجه الإعجاز القرآني، وهو من العلوم التي تعين على فهم كتاب الله «عز وجل» وتدبر آياته وانتظام سوره والربط بينها، والحكمة من وضع كل سورة في موضعها وعلاقتها بما قبلها وما بعدها.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية الدراسة في كونها:

- تتعلق بكتاب الله «عز وجل» فكل ما يتعلق بكتابه تعالى فهو أمر ذو شأن.
- وكذلك تكمن أهمية البحث في كونه يوضح الإعجاز القرآني من خلال هذه التناسب.
- كما يوضح البحث دور التناسب في تماسك النص القرآني.

أهداف الدراسة:

- التعريف بمفهوم التناسب وأهميته.
- معرفة التناسب بين السور والآيات المحددة في البحث.
- معرفة دور التناسب في بيان إعجاز القرآن الكريم.
- بيان دور التناسب في تماسك النص القرآني من خلال السور المختارة. **منهج الدراسة:**
- جاءت الدراسة معتمدة على المنهج الوصفي؛ من خلال سرد التعريف بالتناسب وتحليل السور المختارة للدراسة وتحليل آياتها لبيان أوجه الإعجاز العلمي. وتم تقسيم البحث إلى مبحثين: المبحث الأول: التعريف بالتناسب وأهميته وأنواعه، والمبحث الثاني: دور التناسب في بيان الإعجاز من خلال السور المختارة.

أسئلة الدراسة:

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن عدة أسئلة، أهمها:

- ما مفهوم التناسب، وما أهميته؟
- ما دور التناسب في بيان إعجاز القرآن الكريم؟
- ما دور التناسب في تماسك النص القرآني؟

التناسب : مفهومه وأنواعه :

مفهوم التناسب لغةً : النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب سُمي لاتصاله وللاتصال به . والنسب: القاربة، وقيل: هو في الآباء خاصة، وناسبه: أي شركه في نسبه.⁽¹⁾

مفهوم التناسب في الاصطلاح:

ظهر علم التناسب لأول مرة ببغداد على الإمام أبي بكر النيسابوري، «وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في

أثر التناسب الموضوعي في بيان إعجاز القرآن من خلال كتاب نظم الدرر

جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة⁽²⁾. واهتم العلماء بهذا العلم، وأسهموا فيه إسهاماً كبيراً، وذكروا له عدة تعريفات، فعرفه البقاعي بأنه: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لمقتضى الحال⁽³⁾. وعرفه القاضي أبو بكر بن العربي بقوله هو: «ارتباط أي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون الكلمة الواحدة، متسقة المعاني منتظمة المباني⁽⁴⁾».

أهمية التناسب :

إذا كان لمعرفة سبب النزول أثر في فهم المعنى، وتفسير الآية، فمعرفة التناسب بين الآيات تساعد كذلك على حسن التأويل، ودقة الفهم، وإدراك اتساق المعاني بين الآيات، وترابط أفكارها، وتلاؤم ألفاظها، فالقرآن الكريم فيه كثير من فنون العقائد، والأحكام، والأخلاق، والوعظ، والقصص، وغيرها من مقاصد القرآن التي جعلها الله سبحانه هداية للبشر، والتي تدور جميعها على الدعوة إلى الله، والقرآن يبيث هذا المعنى من خلال المقاصد، والأغراض الموزعة على كافة الآيات والصور، فلو جمع كل نوع على حدة، لفقد القرآن بذلك أعظم مزايا هدايته المقصودة⁽⁵⁾.

وأنه يفيد في معرفة أسرار التشريع وحكم الأحكام وإدراك مدى التلازم التام بين أحكام الشريعة؛ فإذا قرأت قوله تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}. {النور: 30}.

وتعرفت على التناسب بين الأمر بغض البصر وحفظ الفرج علمت ما بينهما من التلازم والتلاؤم؛ فحفظ الفرج لا يتم إلا بغض البصر، ومن أطلق بصره في الحرام فحري أن تزل قدمه في الآثام. ومن فوائد علم التناسب أنه يعين على فهم معنى الآيات وتحديد المراد منها، والترجيح بين خلاف المفسرين فيها. وبعلم التناسب يتبين لك سر التكرار في قصص القرآن، وأن كل قصة أعيدت في موطن فلمناسبتها ذلك الموطن، ولذلك ترى اختلافاً في ترتيب القصة ونظمها بحسب المناسبة وإن كانت متحدة في أصل المعنى.

ومن فوائد علم التناسب أنه يزيل الشك الحاصل في القلب بسبب عدم التأمل في دقة النظم وإحكام الترتيب.

أنواع المناسبات:

وقسم العلماء التناسب إلى عدة أنواع، وهي:

أولاً : - التناسب بين أجزاء الآية الواحدة :

المتأمل لآيات القرآن الكريم وألفاظها وجملها، يجدها وضعت في موضعها من النظم الكريم، فهي مفردات منتقاة وجمل مختارة، واللفظ في موضعه في غاية التناسب وكامل الانسجام من حيث اللفظ أو المعنى، ولو استبدلته بآخر، لاختل النظم وانفرط العقد. ومثال ذلك ختام آية حد السرقة، بقوله تعالى: {وَاللَّهُعَزَّوَجَلَّ} قال الأصمعي: كنت أقرأ سورة المائدة، ومعني أعراي، فقرأت هذه الآية: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ...} فقلت: {وَاللَّهُعَفْوُورَجِيمٌ} سهواً، فقال الأعراي: كلام من هذا؟.. فقلت: كلام الله، قال: أعد، فأعدت {وَاللَّهُعَفْوُورَجِيمٌ} ثم تنبهت، فقلت: {وَاللَّهُعَزَّوَجَلَّ}، فقال: الآن أصبت، فقلت: كيف عرفت؟.. قال: يا هذا، عز، فحكم، فأمر بالقطع، فلو غفر ورحم، لما أمر بالقطع⁽⁶⁾.

ثانياً : التناسب بين الآيات :

قال القاضي أبو بكر بن العربي : (ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني)⁽⁷⁾.

ثالثاً : التناسب بين افتتاح السورة لخاتمة ما قبلها :

قال الزركشي : (وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية التناسب لما ختمت به السورة التي قبلها ثم هو يخفي تارة ويظهر أخرى كافتتاح سورة الأنعام بالحمد فإنه مناسب لختم سورة المائدة من فصل القضاء كما قال سبحانه وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين)⁽⁸⁾.
رابعاً : تناسب افتتاح السورة لمقاصدها :

وذكر الشيخ كمال الدين الزمكاني في بعض دروسه مناسبة استفتاحها بذلك ما ملخصه إن سورة بني إسرائيل افتتحت بحديث الإسراء وهو من الخوارق الدالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وأنه رسول من عند الله، والمشركون كذبوا ذلك وقالوا: كيف يسير في ليلة من مكة إلى بيت المقدس؟ وعادوا وتعنتوا وقالوا صف لنا بيت المقدس، فرفع له حتى وصفه لهم والسبب في الإسراء أولاً لبيت المقدس ليكون ذلك دليلاً على صحة قوله بصعود السموات فافتتحت بالتسبيح تصديقاً لنبيه فيما ادعاه لأن تكذيبهم له تكذيب عناد فنزه نفسه قبل الإخبار بهذا الذي كذبه أما الكهف فإنه لما احتبس الوحي وأرجف الكفار بسبب ذلك أنزلها الله رداً عليهم وأنه لم يقطع نعمه عن نبيه صلى الله عليه وسلم بل أتم عليه بإنزال الكتاب فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة⁽⁹⁾.

إن التناسب والترابط كما هو واقع بين آيات القرآن وسوره فهو أيضاً واقع بين فاتحة السور وخواتمها.
دور التناسب في بيان الإعجاز القرآني :

إذا كان لمعرفة سبب النزول أثر في فهم المعنى ، وتفسير الآية ، فمعرفة التناسب بين الآيات والسور تساعد كذلك على حسن التأويل ، ودقة الفهم ، وإدراك اتساق المعاني بين الآيات والسور ، وترابط أفكارها ، وتلاؤم ألفاظها ، فالقرآن الكريم فيه كثير من فنون العقائد ، والأحكام ، والأخلاق ، والوعظ ، والقصص ، وغيرها من مقاصد القرآن التي جعلها الله سبحانه هداية للبشر، ويعلم التناسب يتبين لك سر التكرار في قصص القرآن، وأن كل قصة أعيدت في موطن فلمناسبتها ذلك الموطن، ولذلك ترى اختلافاً في ترتيب القصة ونظمها بحسب المناسبة وإن كانت متحدة في أصل المعنى.

سورة النبأ:

سورة (عم) سورة مكية وتسمى سورة (النبأ) وهي أربعون أو إحدى وأربعون آية. ومائة وثلاثة وسبعون كلمة ، وسبعمائة وسبعون حرفاً⁽¹⁰⁾.

موضوع السورة:

قال الطاهر ابن عاشور: (أغراضها اشتملت هذه السورة على وصف خوض المشركين في شأن القرآن وما جاء به مما يخالف معتقداتهم، ومن ذلك إثبات البعث، وسؤال بعضهم بعضاً عن الرأي في وقوعه مستهزئين بالإخبار عن وقوعه وتهديدهم على استهزائهم. وفيها إقامة الحجة على إمكان البعث بخلق المخلوقات التي هي أعظم من خلق الإنسان بعد موته وبخلق الأول للإنسان وأحواله، ووصف الأحوال

أثر التناسب الموضوعي في بيان إعجاز القرآن من خلال كتاب نظم الدرر

الحاصلة عند البعث من عذاب الطاغين مع مقابلة ذلك بوصف نعيم المؤمنين، وصفة يوم الحشر إنذاراً للذين جحدوا به والإيماء إلى أنهم يعاقبون بعذاب قريب قبل عذاب يوم البعث). وأدمج في ذلك أن علم الله تعالى محيط بكل شيء ومن جملة الأشياء أعمال الناس⁽¹¹⁾.

التناسب بين سورة المرسلات وسورة النبأ:

قال البقاعي: (لما أخبر في المرسلات بتكذيبهم بيوم الفصل وحكم على أن لهم بذلك الويل المضاعف المكرر، وختمها بأنهم إن كفروا بهذا القرآن لم يؤمنوا بعده بشيء، افتتح هذه بأن ما خالفوا فيه وكذبوا الرسول في أمره لا يقبل النزاع لما ظهر من بيان القرآن لحكمة الرحمن التي لا يختلف فيها اثنان مع الإعجاز في البيان، فقال معجباً منهم غاية العجب زاجراً لهم ومنكراً عليهم ومتوعداً لهم ومفخماً للأمر بصيغة الاستفهام منبهاً على أنه ينبغي أن لا يعقل خلافهم، ولا يعرف محل نزاعهم، فينبغي أن يسأل عنه كل أحد حتى العالم به إعلاماً بأن ما يختلفون فيه لوضوحه لا يصدق أن عاقلاً يخالف أمره فيه وأنه لا ينبغي التساؤل إلا عما هو خفي⁽¹²⁾). وجه اتصال آخر بما قبلها، زيادة على ما قاله البقاعي أن السورتين مكيتان ووجه ثالث في تناسبها مع ما قبلها وهو تشابه السورتين في بعض الآيات ففي تلك: {ألم نهلك الأولين ثم تبعمهم الآخرين} {ألم نخلقكم من ماء مهين} {ألم نجعل الأرض كفاتاً} إلى آخره وفي عم: {ألم نجعل الأرض مهاداً}

سورة النازعات:

سورة النازعات مكية بإجماع. وعدد آياتها خمس وأربعون عند الجمهور، وعددها أهل الكوفة ستاً وأربعين آية، ومائة وسبعون كلمة وسبعمائة وثلاثون حرفاً⁽¹³⁾.

مواضيع السورة:

قال ابن عاشور: (اشتملت على إثبات البعث والجزاء، وإبطال إحالة المشركين وقوعه، وتهويل يومه وما يعتري الناس حينئذ من الوهل وإبطال قول المشركين يتعذر الإحياء بعد انعدام الأجساد. وعرض بأن نكرانهم إياه منبعث عن طغيانهم فكان الطغيان صاداً لهم عن الإصغاء إلى الإنذار بالجزاء فأصبحوا آمنين في أنفسهم غير مترقبين حياة بعد هذه الحياة الدنيا بأن جعل مثل طغيانهم كطغيان فرعون وإعراضه عن دعوة موسى عليه السلام وإن لهم في ذلك عبرة، وتسليّة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وانعطف الكلام إلى الاستدلال على إمكان البعث بأن خلق العوالم وتدير نظامه أعظم من إعادة الخلق. وأدمج في ذلك إلفات إلى ما في خلق السماوات والأرض من دلائل على عظيم قدرة الله تعالى. وأدمج فيه امتنان في خلق هذا العالم من فوائد يجتنونها وأنه إذا حل عالم الآخرة وانقرض عالم الدنيا جاء الجزاء على الأعمال بالعقاب والثواب. وكشف عن شبهتهم في إحالة البعث باستبطائهم إياه وجعلهم ذلك أمانة على انتفائه فلذلك يسألون الرسول ﷺ عن تعيين وقت الساعة سؤال تعنت، وأن شأن الرسول أن يذكرهم بها وليس شأنه تعيين إبانها، وأنها يوشك أن تحل فيعلمونها عياناً وكأنهم مع طول الزمن لم يلبثوا إلا جزءاً من النهار⁽¹⁴⁾).

التناسب بين سورة النبأ وسورة النازعات:

قال البقاعي: (لما ذكر سبحانه يوم يقوم الروح ويتمنى الكافر العدم، أقسم أول هذه بنزع الأرواح على الوجه الذي ذكره بأيدي الملائكة عليهم السلام على ما يتأثر عنه من البعث وساقه على وجه التأكيد بالقسم لأنهم به مكذبون فقال تعالى: (والنازعات)⁽¹⁵⁾).

سورة عبس:

سورة عبس مكية في قول الجميع وهي اثنان وأربعون آية ، ومائة وثلاثون كلمة ، وخمسمائة وثلاثون حرفاً⁽¹⁷⁾.

سبب نزول السورة :

عن عائشة قالت: أنزلت: (عَبَسَ وَتَوَلَّى) في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول: أرشدني. قالت: وعند رسول الله ﷺ من عظماء المشركين. قالت: فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يُعرض عنه ويقبل على الآخر، ويقول: «أترى بما أقول بأساً؟». فيقول: لا. ففي هذا أنزلت: (عَبَسَ وَتَوَلَّى) (18)

مواضيع السورة :

سورة عبس من السور المكية ، وهي تتناول شئونا تتعلق بالعمية وأمر الرسالة ، كما أنها تتحدث عن دلائل القدرة ، والوحدانية في خلق الإنسان ، والنبات ، والطعام ، وفيها الحديث عن القيامة وأهوالها ، وشدة ذلك اليوم العصيب

- ابتدأت السورة الكريمة بذكر قصة الأعمى « عبد الله بن أم مكتوم » الذي جاء إلى رسول الله ﷺ يطلب منه أن يعلمه مما علمه الله ، ورسول الله ﷺ مشغول مع جماعة من كبراء قريش ، يدعوهم إلى الإسلام ، فعبس ﷺ في وجهه وأعرض عنه ، فنزل القرآن بالعتاب [عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنتفه الذكرى ، أما من استغنى ، فأنت له تصدى] (19).

- ثم تحدثت عن جحود الإنسان ، وكفره الفاحش بربه مع كثرة نعم الله تعالى عليه: (قتل الإنسان ما أكفره ، من أي شيء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره) (20).

- ثم تناولت دلائل القدرة في هذا الكون ، حيث يسر الله للإنسان سبل العيش فوق سطح هذه المعمورة قال تعالى: [فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا] (21).

- وختمت السورة الكريمة ببيان أهوال القيامة ، وفرار الإنسان من أحبابه من شدة الهول والفرع، وبيئت حال المؤمنين وحال الكافرين في ذلك اليوم العصيب [فإذا جاءت الصاخة ، يوم يفر المرء من أخيه ، وأمّه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ، وجوه. يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ، ترهقها قترة ، أولئك هم الكفرة الفجرة] (22).

التناسب بين النازعات عبس:

قال البقاعي: (ولما قصره سبحانه على إنذاره من يخشى ، وكان قد جاءه (ﷺ) عبد الله بن أم مكتوم الأعمى رضي الله تعالى عنه ، وكان من السابقين ، وكان النبي (ﷺ) حين مجيئه مشتغلا بدعاء ناس من صناديد قريش إلى الله تعالى ، وقد وجد منهم نوع لين ، فشرع عبد الله رضي الله عنه يسأله وهو لا يعلم ما هو فيه من الشغل ، يسأله أن يقرئه ويعلمه مما عمله الله فكره أن يقطع كلام مع أولئك خوفاً من

أثر التناسب الموضوعي في بيان إعجاز القرآن من خلال كتاب نظم الدرر

أن يفوته منهم ما يرجوه من إسلامهم المستتبع لإسلام ناس كثير من أتباعهم ، ان يعرض عنه ويقبل عليهم ، وتظهر الكراهة في وجهه ، لاطفه سبحانه وتعالى بالعتاب عن التشاغل عن أهل ذلك⁽²³⁾.
وجه وضعها عقب النزاعات مع تأخيها في المقطع لقوله هناك: {فإذا جاءت الطامة} وقوله هنا: {فإذا جاءت الصاخة} وهما من أسماء يوم القيامة.

سورة التكوين:

وهي مكية بالاتفاق وعدد آياتها تسع⁽²⁴⁾. ومائة وأربع كلمات، وأربعمئة وأربع وثلاثون حرفاً⁽²⁵⁾.
فضلها : عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: «إذا الشمس كورت»، و«إذا السماء أنفطرت»، و«إذا السماء انشقت». سنن الترمذي برقم (3333).

التناسب بين سورتي عبس والتكوين:

قال البقاعي: ولما ختمت سورة عبس بوعيد الكفرة الفجرة بيوم الصاخة لوجودهم بها لهذا القرآن من التذكرة، ابتدئت هذه بإتمام ذلك، فصور ذلك اليوم بما يكون فيه من الأمور الهائلة من عالم الملك والمملوك حتى كأنه رأي عين كما رواه الإمام أحمد والترمذي والطبراني وغيرهم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) برجال ثقات أن النبي (ﷺ) قال: (من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة رأي العين فليقرأ) (إذا الشمس كورت)⁽²⁴⁾.

سورة الانفطار :

مكية عن الجميع وهي تسع عشرة آية، وهي تسع عشرة آية وثمانون كلمة وثلاثمئة وسبعة وعشرون حرفاً.
فضلها:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: «إذا الشمس كورت»، و«إذا السماء انشقت» سنن الترمذي برقم (3333).

موضوعات السورة:

اشتملت هذه السورة على: إثبات البعث، وذكر أهوال تتقدمه. وإيقاظ المشركين للنظر في الأمور التي صرفتهم عن الاعتراف بتوحيد الله تعالى وعن النظر في دلائل وقوع البعث والجزاء. والإعلام بأن الأعمال محصاة. وبيان جزاء الأعمال خيرها وشرها.

وإنذار الناس بأن لا يحسبوا شيئاً ينجيهم من جزاء الله على سيء أعمالهم⁽²⁵⁾.

التناسب بين سورتي الانفطار والتكوين:

قال البقاعي: ولما ختمت التكوين بأنه سبحانه لا يخرج من مشيئته وأنه موجد الخلق ومدمرهم، وكان من الناس من يعتقد ان هذا العالم هكذا بهذا الوصف لا آخر له (أرحام تدفع وأرض تبلع ومن مات فات وصار إلى الرفات ولا عود بعد الفوات) افتتح الله سبحانه هذه بما يكون مقدمة لمقصود التي قبلها من أنه لا بد من نقضه لهذا العالم وإخراجه ليحاسب الناس فيجزى كلّا منهم من المحسن والمسيء بما عمل⁽²⁶⁾.
ووجه آخر في مناسبة وضع الانفطار بعد التكوين زيادة على ما قاله البقاعي هو تأخي السورتين في المقطع.

التناسب بين سورتي الانشقاق والمطففين:

سورة الانشقاق سورة مكية في قول الجميع وهي خمس وعشرون آية. ومائة وسبع كلمة وأربعمئة وأربعة وثلاثون حرفاً. وتناولت هذه السور الحديث عن أهوال القيامة ، كشأن سائر السور المكية التي تعالج أصول العقيدة الإسلامية

ابتدأت السورة الكريمة بذكر بعض مشاهد الآخرة ، وصورت الانقلاب الذي يحدث في الكون عند قيام الساعة (إذا السماء انشقت ، وأذنت لربها وحقت ، وإذا الأرض مدت ، وألقت ما فيها وتخلت ، وأذنت لربها وحقت)

ثم تحدثت عن مصير الإنسان ، الذي يكذب ويتعبد في تحصيل أسباب رزقه ومعاشه ، ليقدم لآخرته ما يشتهي من صالح أو طالح ، ومن خير أو شر ، ثم هناك الجزاء العادل (يا أيها الإنسان انك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه ، فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً) الآيات

ثم تناولت موقف المشركين من هذا القرآن العظيم ، وأقسمت بأنهم سيلقون الأهوال والشدائد ويركبون الأخطار والأهوال ، في ذلك اليوم الرهيب العصيب ، الذي لا ينفع فيه مال ولا ولد {فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّقِيقِ {16} وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ {17} وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ {18} لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنُطَبِقُ {19} الآيات 16-19} وختمت السورة الكريمة بتوبيخ المشركين على عدم إيمانهم بالله ، مع وضوح آياته و سطوع براهينه ، وبشرتهم بالعذاب الأليم في دار الجحيم⁽¹⁵⁾.

التناسب بين سورتي المطففين والانشقاق:

قال البقاعي : مقصودها الدلالة على آخر المطففين من أن الأولياء ينعمون والأعداء يعذبون ، لأنهم كانوا لا يقرون بالبعث ولا بالعرض على الملك الذي أوجدهم ورباهم كما يعرض الملوك عبيدهم ويحكمون بينهم فينقسمون إلى أهل ثواب وأهل عقاب⁽²⁷⁾.

قال البقاعي : لما ختمت التطفيف بأن الأولياء في نعيم ، وأن الأعداء في نعيم ، وأن الأعداء في جحيم ثواباً وعقاباً ، ابتدأ هذه بالإقسام على ذلك فقال : (إذا السماء)⁽²⁸⁾ سورة البروج: وهي سورة مكية وآياتها اثنان وعشرون آية ، ومائة وتسع كلمة وأربعمئة وثمانية وخمسون حرفاً. تفسير .

فضلها:

عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج، والسماء والطارق. المسند (326/2).

عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ أمر أن يقرأ بالسماوات في العشاء. المسند (327/2).

موضوعات السورة :

ابتدئت السورة بضرب المثل للذين فتنوا المسلمين بمكة بأنهم مثل قوم فتنوا فريقا ممن آمن بالله فجعلوا أخذودا من نار لتعذيبهم ليكون المثل تثبيتا للمسلمين وتصيرا لهم على أذى المشركين وتذكيرهم بما جرى على سلفهم في الإيمان من شدة التعذيب الذي لم ينلهم مثله ولم يصدهم ذلك عن دينهم. وإشعار المسلمين بأن قوة الله عظيمة فسيلقى المشركون جزاء صنيعهم ويلقى المسلمون النعيم الأبدى والنصر. والتعريض للمسلمين بكرامتهم عند الله تعالى. وضرب المثل بقوم فرعون وبثمود وكيف كانت

عاقبة أمرهم ما كذبوا الرسل، فحصلت العبرة للمشركين في فتنهم المسلمين، وفي تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم والتنويه بشأن القرآن⁽³⁰⁾.

التناسب بين سورتي المطففين والانشقاق:

قال البقاعي: لما ختم تلك بثواب المؤمن وعقاب الكافر والاستهزاء به بعد أن ذكر أنه سبحانه أعلم بما يضر الأعداء من المكر وما يرومون من الأنكاد للأولياء وتوعدهم بما لا يطيّقون، وكانوا قد عذبوا المؤمنين بأنواع العذاب واجتهدوا في فتنه من قدروا عليه منهم، وبالغوا في التضييق عليهم حتى ألجؤوهم إلى شعب أبي طالب وغيره من البروج في البلاد، ومفارقة الأهل والأولاد، ابتداءً هذه بما أوقع بأهل الجبروت ممن تقدمهم على وجه معلم أن ذلك الإيقاع منه سبحانه قطعاً، ومعلم أن الماضي تجاوزوا ما فعل على وجه معلم أن الماضي تجاوزوا ما فعل هؤلاء إلى القذف في النار، وأن أهل الإيمان ثبتوا، وذلك لتسليّة المؤمنين وتثبيتهم، وتوعيد الكافرين وتوهميتهم وتفتيتهم⁽³¹⁾.

سورة الطارق: وهي سورة مكية بالاتفاق وهي سبع عشرة آية. واثنان وسبعون كلمة، ومائتان وإحدى وسبعون حرفاً.

موضوعات السورة:

إثبات إحصاء الأعمال والجزاء على الأعمال. وإثبات إمكان البعث بنقض ما أحاله المشركون ببيان إمكان إعادة الأجسام. وأدمج في ذلك التذكير بدقيق صنع الله وحكمته في خلق الإنسان والتنويه بشأن القرآن. وصدق ما ذكر فيه من البعث لأن إخبار القرآن به لما استبعدوه وموهوا على الناس بأن ما فيه غير صدق. وتهديد المشركين الذين ناوؤا المسلمين. وتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم ووعدته بأن الله منتصر له غير بعيد⁽³²⁾.

التناسب بين سورتي البروج والطارق:

قال البقاعي: لما تقدم في آخر البروج أن القرآن في لوح محفوظ لأن منزله محيط بالجنود من المعاندين وبكل شيء، أخبر أن من إحاطته حفظ كل فرد من جميع الخلائق المخالفين والموافقين والمؤلفين، ليجازي على أعماله يوم إحقاق الحقائق العلائق⁽³³⁾.

وبين السور تناسب آخر وهو أن سورة البروج وسورة الطارق متآخيتان فقرنتا وقدمت الأولى لطولها وذكرنا بعد الانشقاق للمؤاخاة بينهم في الافتتاح بذكر السماء.

الخاتمة:

وخلاصة الأمر فإن علم التناسب يقوم على الربط والانسجام بين سور القرآن الكريم وآياته، فعلى الرغم من نزول القرآن الكريم منجماً إلا أنك تجد فيه من الانسجام ما يدعو الإعجاب، فهذا الترابط والانسجام الذي يظهر نتيجة للتناسب بين السور والآيات جعل الزركشي يعد التناسب الوجه الرابع من وجوه إعجاز القرآن الكريم. وبعد التأمل في التناسب بين هذه السور التي تناولها البحث، توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج، ويمكن حصرها فيما يلي:

- من خلال دراسة التناسب بين هذه السور يتضح لنا أن التناسب من أهم وسائل التماسك النصي، لأنها تلعب دوراً كبيراً في انسجام النص وترابطه، لذا هي أنسب وسيلة لتحليل سور القرآن وآياته.

- يظهر دور التناسب في الانسجام بين نهاية النبأ وبداية المرسلات وكذلك التشابه السورتين في بعض الآيات ففي تلك: {ألم نهلك الأولين ثم نتبعهم الآخرين} {ألم نخلقكم من ماء مهين} {ألم نجعل الأرض كفاتا} إلى آخره وفي النبأ: {ألم نجعل الأرض مهاداً}.
- بمعرفة التناسب بين السور نتمكن من معرفة كيف اتسق للقرآن الكريم هذا التآلف ، وكيف استقام له هذا التناسق الذي يشهد بحق وصدق على إعجاز القرآن.
- ويدل أبلغ دلالة على مصدر القرآن ، وأنه كلام الله (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً)
- يبين علم التناسب الكثير من أسرار التعبير القرآني في التقديم والتأخير ، والإيجاز والاطناب ، ويبرز الحكمة من ضرب الأمثال ، وقص القصص ، حسب مقتضيات الأحوال.
- إن المتأمل لتركيب آيات القرآن ، ونظم كلماته ، في الوجوه المختلفة التي يتصرف فيها ، وأسلوبه في التوفيق بين القضايا ، والأغراض المتنوعة ، مع حسن ربط ، وبراعة مسلك ، كأنه سبيكة واحدة ، أو عقد نظيم ، يترجح لديه الرأي القائل بأن ترتيبه توقيفي .

الهوامش:

- (1) ابن منظور: لسان العرب، مادة نسب، ج 1، 755.
- (2) الزركشي: البرهان، ج1، ص63.
- (3) البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص5.
- (4) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص62.
- (5) سامي عطاء حسن: المناسبات بين الآيات والسور فوائدها وأنواعها وموقف العلماء منها، جامعة آل البيت ص 13.
- (6) محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى : 1354هـ): تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر : 1990م، عدد الأجزاء : 12. ج ص.
- (7) الزركشي: البرهان في علوم القرآن 36/1.
- (8) الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 38/1.
- (9) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 39.
- (10) ابن عاشور: التحرير والتنوير 30/139.
- (11) اللباب في علوم الكتاب 90/20.
- (12) الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ): التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984م، عدد الأجزاء: 30، ج 6، ص 30.
- (13) البقاعي برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي دار الكتب العلمية - بيروت - 1415 هـ - 1995 م عدد الأجزاء: 8، ج8، ص295.
- (14) الطاهر بن عاشور: ج30، ص60.
- (15) الطاهر بن عاشور: ج30، ص59.
- (16) النزاعات: 1.
- (17) البقاعي: ج8، 308.
- (18) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية، 1964م، عدد الأجزاء : 20، ج19، ص211.
- (19) مالك بن أنس: الموطأ، ص203.
- (20) عبس1_6.
- (21) عبس: 16_20.
- (22) عبس: 23_29.
- (23) محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، عدد الأجزاء: 3، ج3، ص458.
- (24) البقاعي: ج8، ص323.
- (25) اللباب في علوم الكتاب 20/174.
- (26) البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج8، ث335.

- (27) ابن عاشور: التحرير والتنوير ج30، ص 170.
- (28) البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج8، ث 347.
- (29) الصابوني: صفوة التفاسير، ج3، ص 471.
- (30) البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج8، ص 267.
- (31) البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج8، ص 267.
- (32) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج30، ص 237.
- (33) البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج8، ص 267.
- (34) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج30، ص 258.
- (35) البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج8، ص 385.

المصادر والمراجع:

- (1) ابن منظور، لسان العرب.
- (2) الزركشي محمد بن بهادر بن عبد الله أبو عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت، 1391هـ، عدد الأجزاء: 4.
- (3) الصابوناي محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني عدد الأجزاء: 3.
- (4) الطاهر بن عاشور (المتوفى: 1393هـ): التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984م، عدد الأجزاء: 30.
- (5) القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م، عدد الأجزاء: 20.
- (6) سامي عطا حسن: المناسبات بين الآيات والسور فوائدها وأنواعها وموقف العلماء منها، جامعة آل البيت، ت د.
- (7) محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين: تفسير السراج المنير، دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: 4.
- (8) محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: 1354هـ): تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: 1990 م عدد الأجزاء: 12.